يسمى بالاستيطان أو التوطين، فكانوا الابواق الشعبية لاعداء الوطن والقضية. وهكذا حكموا على القصيدة برمتها، من خلال كلمة فهموها خطأ، ولم يحاولوا ادراك ابعادها...

مثل هذا التحليل البائس، كان علينا الا نتوقف عنده. ولكن، خشية ان يتسع الشر ويستشري، كان لا بد لنا من هذه الاشارة العابرة...

ان بيروت، وغيرها مدن كثيرة في التاريخ، كانت دائماً مصدر الوحي للشعراء والفنانين. الايحاء الذي يتحول مع الزمن، إلى عشق له سمات الحزن أو الفرح، اللهفة والرغبة، والوله الحقيقي... فهل يمنع الشاعر، من ان يكتب قصيدة حب، للمرأة، أو المدينة التي يحب... وكثيراً ما تختلط المدينة بالمرأة...

«بيروت شكل الروح في المرآة، وصف المرأة الأولى، ورائحة الغمام...

بيروت من تعب ومن ذهب، وأندلس وشام...»

انه العشق المصفى، والجرح في الجوى، ما يندمل، فان فعل، تشرد الشعر...

وهو يسميها بعد حين: «أجمل من قصيدتها، واسهل من كلام الناس...» فالمدينة السحر، التي عرفها الشاعر في أوج توهجها، وعانى معها في حميا مأساتها وتمزقها وقهرها... تتحول في شعره، إلى صورة الحب الضائع، والوطن السليب، وهو لهذا يحمل اليها كل هذا اللهف، وكل هذا الوجد المحروق على جمر الشظايا... انه الشعر مكتنزاً، وعميقاً، صارخاً حيناً، باكياً حيناً آخر... انه الشعر وكفى...

«بيروت من اين الطريق إلى نوافذ قرطبة...»

وقرطبة هنا، هي الوطن – الحب، الذي رسمه القلب، بدم القلب، وأرغم على مغادرته على أمل العود... وفي علاقة الانسان بالوطن، لا شيء يسد مكان شيء، لا شيء يعيد إلى المهاجر رائحة الوطن وعرقه السجين، الا الوطن نفسه... ومع ذلك، فالمدينة ليست حائط ميكي، بالنسبة للشاعر، كيف ذا، وهو العربي، وهي المدينة العربية، التي لا بد وان تلتقي، بعد كل ما عانته، بكل عثار الماضي، لتنتفض، قوة وأملاً ومستقبلاً، على تعبها وعذاباتها...

«وردة مسموعة ببيروت، صوت فاصل بين الضحية والحسام... ولد أطاح بكل الواح الوصايا...

والمرايا... ثم نام...»

اذن ها هي، تطيح بكل الواح الوصايا، بالماضي وعثاره، بكل ما يغل انطلاقتها إلى المستقبل، بكل ما ترسب في قعر الماضي والراهن، لتقدم لنا الحل. وهو لن يكون، الا بالقاء «وصايا» الماضي، بكل تعبه وتخلفه، للاحتفاظ منه فقط، بالأجمل والأمثل...

ويمهد لهذه الفكرة، بصورة لا تملك الا ان تصيح «الله» وانت تقرؤها:

«قصيدة الحجر، ارتطام بين قبرتين تختبئان في صدر...
بسماء ثاكل جلست على حجر تفكر...»

وقد ابدع، فعل الشاعر، كل الابداع، في استعمال صيغة ثاكل بدل ثاكلة أو ثكلى... انه اللعب على التذكير والتأنيث في ابهى صوره...

أجمل ما في القصيدة، ولن يكون في مقدورنا عرض كل جمالياتها، هو عودة محمود، إلى تفعيلته الأولى، ولكن بشكل معمق وساحر...

«نفتش عن نهايات الجنوب، وعن وعاء القلب...
سال القلب سال...